ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(223)
هذا هو الحسين (ج٥٦)
هل ينتفع رسول الله صلى الله عليه واله من دعائنا له وصلاتنا عليه ؟ (ق١)
الاحد : ١١/صفر/١٤٤٣هـ - الموافق ١٩/٩/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

عُنواننا الجديدُ وهو الأخيرُ أيضاً للحلقات المتبقيّة من هذه المجموعة؛ **أَسْئلَةٌ وَأَجْوِبَة.**
تردني أسئلةٌ كثيرةٌ لكنَّني لا أجدُ وقتاً للإجابةِ عليها كُلِّها، هُناك أسئلةٌ أجدها مُهمةً ولها علاقةٌ بموضوعِ هذهِ الحلقات، لذا سأقفُ عندها مُجيباً عليها بحسبِ ما يسمحُ به الوقت.
السؤالُ الأوَّلُ سأطرحهُ عليكم، هذه الحلقة جزءٌ أوَّل من جوابِ هذا السؤال، الجزءُ الثاني يأتينا غداً إن شاء اللهُ تعالى في الحلقة القادمة.
سؤالنا الأوَّلُ يرتبطُ برواية جاءت في (مُستدرك الوسائل) للمُحدِّث النوري، طبعةُ مُؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، الجزءُ الرابع من هذه الطبعة، البابُ الرابعُ والثلاثون، الحديثُ الثاني عشر، صفحة (٦١): **وَعَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآله** - عن رسول الله - **أَنَّهُ إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله" يَقُولُ الحَاكِي** - الحاكي؛ الَّذي يُردِّدُ ذكْراً ودُعاءً وذلك أمرٌ مندوبٌ مُستحبٌ حينما يَصلُ صوتُ المؤذِّن إلى مسامعه - **يَقُولُ الحَاكِي: "وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، رَضِيتُ بِالله رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّد رَسُولاً وَبِالأَئِمَّة الطَّاهِرِين عَلَيهِم السَّلَام أَئِمَّةً"، ثُمَّ يَقُول: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذه الدَّعْوَة التَّامَّة وَالصَّلَاة القَائِمَة ائْتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَة** - وفي قراءة أُخرى (آتِ مُحَمَّداً) - **وَابْعثهُ الـمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذي وَعَدْتَهُ وَارْزُقْنِي شَفَاعَتَهُ يَوْمَ القِيَامَة.**
سؤالُ السَّائل: من أنَّ الدعاء هذا يشتملُ على مضمونِ انتفاع النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله بِدُعائنا، ويظهرُ من كلمات هذه الرواية من كلمات هذا الدعاء الَّذي يُردِّدهُ الحاكي وهو الـمُستمعُ لأذانِ المؤذِّن، فإنَّ المضمونَ يشتملُ على أنَّ النبي صلَّى اللهُ عليه وآله تتكامَلُ درجَتهُ بدعائنا.
فهناك أمران:
- الأمرُ الأوّل: دُعاؤنا نافعٌ لرسول الله.
- والأمرُ الثَّاني: النَّبيّ في حالة تكامل، هذا يعني أنَّهُ كان في نقص وهذا النَّقصُ يزولُ بتكامُله.
أنا لا أرِيدُ أن أقفَ طويلاً عندَ هذهِ الرواية بشكلٍ خاص، وإنْ كان السؤالُ قد وردني بنحوٍ خاصٍّ عن هذه الرواية، وإنَّما سأفتحُ الموضوعَ على مصارعه كي تكونَ الفائدة أكثر، فهذا الَّذي وَرَدَ في الرواية وفي هذا الدعاء من أنَّ النَّبيَّ سينتفعُ بِدُعائنا، ومن أنَّهُ سيتكامَلُ بسببِ دُعائنا هذا، وهذا يكشفُ عن نقص كان يُعاني منه، ولذا فَهو يتكامَلُ بِدُعائي ودُعائكم.
ونقلَ رِوايةً أخرى إنَّهُ الحديث الحادي عشر، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله: **إِذَا سَمِعتُم الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا كَمَا يَقُول** - ولذلك تُسمّى بحكاية الأذان - **ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيه بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا لِي الوَسِيلَة فَإِنَّهَا مَنزِلَةٌ فِي الجَنَّة لَا تَنْبَغِي أَنْ تَكُون إِلَّا لِعَبد مِنْ عِبَاد الله، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ** - فالنَّبي ليس مُتأكِّداً من أنَّ الوسيلة ستكونُ له، ولذا هو يطلبُ منَّا أن ندعو لهُ بأن تكون الوسيلةَ له، وَهُوَ يرجو أن يتحقَّق هذا الأمر - **فَمَن سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَة حَلَّت لَهُ الشَّفَاعَة.**
هذه المضامينُ موجودةٌ أساساً في كتب المخالفين، وموجودةٌ في كتبنا أيضاً، لهذا السَّبب لم أجعل جوابي مُختصَّاً بالروايةِ الَّتي وَرَدَ السؤال بخصوصها.
ومن مستدرك الوسائل إلى (مفاتيح الجنان)، زيارةٌ من زيارات صاحبِ الأمر صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ماذا نقرأ فيها؟: **(أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ اصْطَفَاكَ صَغِيراً وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيراً وَأَنَّكَ حَيٌّ لَا تَمُوت حَتَّى تُبْطِلَ الجِبْتَ وَالطَّاغُوت)**، إلى آخرِ ما جاء في هذه الزيارة الشريفة وهذا الدعاء.
فإمامُ زماننا كان صغيراً من جهة السن حينما بدأت إمامتهُ الفعليّةُ بعد استشهاد أبيه الحسن العسكري، هذا يعني أنَّهُ قد صار إماماً ولم تكتمل عُلومهُ، هذا هو الَّذي تتحدَّثُ عنهُ هذه الزيارةُ الشريفة، وأقول عنها الزيارةُ الشريفةَ لأنَّها وردت عنهم، هذه الزياراتُ وهذه الأدعيةُ حتَّى إنْ لم يُصرِّح تصريحاً في كُتبِ الأدعية والزيارات من أنَّها وردت عنهم لسانُها ولحنُها وألفاظُها ومضامينُها وردت عنهم.
لكن هل أنَّ كُلَّ شيء قد وَرَدَ عنهم يُريدونَ منَّا أن نلتزم به؟!
النقطةُ المهمَّة هنا: فَهم قد تحدَّثوا بلسان التقيّة،
- تارةً تكون التقيّةُ من الأعداء.
- وتارةً تكونُ التقيّةُ من الأصدقاء، لماذا؟ لأنَّ الأصدقاءَ حمقى سُفهاء يكشفون الأسرارَ للأعداء، فهذه تقيَّةٌ من الأعداء لكنَّها ليست مُباشرة.
- وهُناكَ من الأحاديث ما هو في مقامِ التعليمِ والتدريبِ والتربية، وهذا يكونُ مُناسباً للذينَ يُعلَّمونَ ذلك التعليم.
- وهُناكَ من الأحاديثِ ما هو في مستوى المداراة، والمداراةُ مراتبها كثيرةٌ لاختلاف مراتب عقول الناس.
- وهُناكَ من الأحاديثِ ما يأتي مُنسجماً مع الثقافة الشائعة العامَّة، وتكونُ تلك الثقافةُ ليست صحيحةً، لكنَّ الإمام مضطرٌ أن يتحدَّثَ وِفقاً لسياقاتِ تلك الثقافة.
أعود إلى زيارة صاحب الأمر: **أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ اصْطَفَاكَ صَغِيراً وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيراً وَأَنَّكَ حَيٌّ لَا تَمُوت حَتَّى تُبْطِلَ الجِبْتَ وَالطَّاغُوت** - هذه العقيدةُ عقيدةٌ خرقاء، الأئمَّةُ لا يُريدون منَّا أن نعتقدَ بها، قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم يرفضُ هذا المضمون ، لكنَّهُ وَرَدَ في زِياراتنا وأدعيتنا مثلما قرأتُ عليكم قبل قليلٍ من مُستدرك الوسائل.
في (الصَّحيفة السَّجّاديَّة الجامعة) الَّتي أنتجتها مؤسَّسةُ الإمام المهديّ، قم المقدَّسة، الدعاءُ الثاني وهو العاشر بحسبِ هذه الصَّحيفة الجامعة، صفحة (٣١)، في الصَّلاة على رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله: **اللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ** - فإنَّني أطلبُ لهُ الرِّفعة بدعائي، أدعيةُ الصَّحيفة السَّجّاديَّة ما هي بأدعية خاصَّة للإمامِ السَّجّاد، هذه أدعيةٌ كتبها الإمامُ السَّجّاد لي ولكم - **اللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ العُلْيا مِنْ جَنَّتِك حَتَّى لَا يُسَاوَى فِي مَنْزِلَةٍ وَلَا يُكَافَى**

فِي مَرْتَبَةٍ وَلَا يُوَازِيهُ لَدَيكَ مَلَكٌ مُقَرَّب وَلَا نَبِيّ مُرْسَل - أيُّ دعاءٍ هذا؟! هذا ينسجمُ مع أولياءِ أهلِ البيت لا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله، لكنَّهُ وردَ في أدعيتهم.

دعاءٌ آخر من الأدعية الَّتي وردت عن إمامنا السَّجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ عليه وهو دعاءٌ في الصَّلاة على رسول الله: **فَاعْطِ مُحَمَّداً مِنْ ذَلكَ حَتَّى يَرْضَى وَزِدْهُ مِنْ ثَوَابِكَ بَعْدَ الرِّضَا مَا لَا تَبْلُغُهُ مَسْأَلَةُ السَّائِلِين وَتَقْصُرُ عَنْهُ الْمُنَى حَتَّى لَا تَبْقَى غَايَةٌ غِبْطَةٍ إِلَّا أَوْفَيْتَ بِهِ عَلَيْهَا، وَلَا ارْتِفَاعُ دَرَجَةٍ إِلَّا حَلَلْتَ بِهِ إِلَيْهَا وَجَعَلْتَهُ مُخَلَّداً فِي أَعْلَى عُلُوِّهَا.**

هذه المَضامينُ موجودةٌ في نصوصِ الزيارات، موجودةٌ في نصوصِ الصَّلوات عليهم، موجودةٌ في نُصوصِ المناجيات، هُناك مناجياتٌ فيما بيننا وبينَ الله، وهُناك مناجياتٌ فيما بيننا وبينهم صلواتُ الله عليهم، هناك نصوصٌ بهذا المضمون، وهناك نصوصٌ بالمضمونِ الثاني، ففي الزيارات والصَّلوات والمناجيات بصنفيها وفي الأدعيةِ وفي الرواياتِ والأَحاديث وفي الإجابةِ على أسئلةِ السائلين توجدُ هذهِ المضامينُ وقد صدرت عنهم، أنا لا أُنكرها لا أُنكر صدروها، صدرت عنهم، ووردت عنهم صلواتُ اللهِ عليهم.

آخذ لكم مثالاً آخر:

في الكافي الشريف/ الجزء الأوّل/ طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة (٣٥٦)، "بابُ ما أُعطيَ الأئمَّةُ من اسم الله الأعظم"، الحديثُ الثاني: عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، بعد أن يذكر الإمامُ الصَّادقُ الأنبياء وما أُعطوا من حروفِ الاسمِ الأعظم، لا شأنَ لنا بالأنبياء حديثُنا عن مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد: (**وَإِنَّ اسْمَ الله الأَعْظَم ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً وَحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ وَاحد**)، الحديثُ واضحٌ في أنَّ نقصاً في عِلْمِه، في أنَّ نقصاً في مرتبته، لا شأن لنا بالأنبياء، "إنَّ عيسى بن مريم أُعْطِي حَرْفَين"، وهكذا ذكرت الروايةُ بقيّةَ الأنبياء، حُروفُ الاسمِ الأعظم ما هي بمربّعات مُتساوية، فلربَّما يكونُ هذا الحرفُ الواحدُ المحجوبُ هو أعظمُ من كُلِّ الحروفِ الَّتي أُعطيت لـمُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وآله، فحروفُ الاسمِ الأعظمِ مَا هي متساوية..

أيضاً في الكافي الشريف، صفحة (٢٧٩): "باٌ في أنَّ الأئمَّة يزدادون في ليلة الجُمعة"، الحديثُ الثاني: **عَن المفَضَّل، عَن المفَضَّلِ بنِ عُمَر، قَالَ، قَالَ لِي أَبُو عَبْد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله عليه - **قَالَ لِي ذَاتَ يَوم وَكَانَ لَا يُكَنِّينِي قَبْلَ ذَلك؛ يَا أَبَا عَبْد الله** - المفضَّلُ لهُ كُنيتان؛ يُكنَّى بأبي مُحمّد، ويُكنَّى بأبي عبد الله، الإمامُ هنا كنَّاهُ بأبي عبد الله - **قَالَ، قُلتُ: لَبَّيك، قَالَ: إِنَّ لَنَا فِي كُلِّ لَيْلَة جُمُعَة سُروراً، قُلْتُ: زَادَكَ اللهُ وَمَا ذَاك؟** - ما هذا السرور؟ - **قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الجُمُعة وَافَى رَسُولُ الله العَرْش، وَوَافَى الأَئِمَّةُ مَعَهُ** - الأَئِمَّةُ الَّذين سبقوا الإمامَ الموجود - **وَوَافينَا مَعَهُم فَلَا تُرَدُّ أَرْوَاحُنَا إِلَى أَبْدَاننَا إِلَّا بِعِلْمٍ مُسْتَفَاد وَلَوْلَا ذَلك لَأَنْفَدْنَا** - لا نتهى علمنا فهم يزدادون في كُلِّ ليلةَ جُمعة وروايةٌ وفيرةٌ في كتبنا بهذا الخصوص.

بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ؛ بعلمٍ جَديدٍ يُضافُ إلى علمنا - **وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَنْفَدْنَا** - يعني من أنَّنا لا نملكُ جواباً للأسئلةِ القادمةِ إلينا هذا هو المراد، وإلَّا فإنَّ العِلمَ السَّابقَ لَنْ يزول.

بابٌ آخر صفحة (٢٨٠): "بابُ لولا أنَّ الأئمَّة يزدادونَ لنفذ ما عندهم"، الحديثُ الأوَّل: **بِسنده، عن صَفوانَ بنِ يَحيى، قَالَ سَمعتُ أَبَا الحَسَن** - إنَّهُ إمامُنا الكاظمُ صلواتُ اللهِ عليه -: **كَانَ جَعْفَر بنُ مُحَمَّد** - يتحدّثُ عن أبيه الصّادق - **كَانَ جَعْفَر بنُ مُحمّد يَقُول: لَوْلَا أَنَّا نَزْدَادُ لَأَنْفَدْنَا** - فنحنُ في حالة ازدياد.

الحديثُ الثَّاني: **بِسنده، عَن ذَرِيح المُحَارِبِي قَالَ، قَالَ لِي أَبُو عَبد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله عليه - **يَا ذَرِيح، لَوْلَا أَنَّا نَزْدَادُ لَأَنْفَدْنَا.**

الحديثُ الثَّالث: **بِسنده، عَن زُرَارَةَ قَالَ: سمعتُ أَبَا جَعفَر** - إنَّهُ باقرُ العلوم - **قَالَ سَمعتُ أَبَا جَعْفَرٍ يَقُول: لَولا أَنَّا نَزْدَادُ لَأَنْفَدْنَا، قَالَ، قُلتُ: تَزْدَادُونَ شَيئاً لَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَه؟** - باعتبارِ أن رسولَ الله قد تُوفِّي، هذه قياساتٌ عاديّةٌ، على أيِّ حالٍ نحنُ والأحاديث - **قَالَ: أَمَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلكَ** - يعني إذا كان ذلك الشيء لا يعلمهُ رسول الله، هذا يعني أنَّ رسول الله خرج من الدنيا وعلمهُ في الدينِ ناقصٌ - **أَمَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عُرِضَ عَلَى رَسُول الله ثُمَّ عَلَى الأَئِمَّة** - الَّذين سبقوه - **ثُمَّ انْتَهَى الأَمْرُ إِلَيْنَا.**

سأتناولُ الموضوعَ من ثلاث جهات:

الجهةُ الأولى : سآخذُ لكم مثالاً مُصغَّراً من سيرتهم، من سيرتهم العمليّة، في مثلِ هذه الموضوعات، أتحدَّثُ عن أسلوبهم عن طريقتهم في التعامُلِ مع هذه الموضوعات الحسَّاسة، هذه الجهةُ الأولى.

والجهةُ الثانية: سأقومُ بعمليّةِ عَرض لبعضِ هذهِ الروايات والأحاديث على الكتابِ الكريم.

العرضُ على الكتابِ الكريم له مرتبتان؛

- هناك عرضٌ جزئي خاص.
- وهناك عرضٌ كلي تفصيلي.

ما سأقوم به هو من النوع الأوّل من العرض الجزئي الخاص، لأنَّني سأُسلِّط الضوءَ على جهةٍ مُعيَّنة، أمَّا العرضُ الكُلّي التفصيليّ هذا سأقومُ به يوم غد.

الجهةُ الثَّالثة: سأعرضُ لكم قاعدة المحكمِ والمتشابه من قواعد التفهيمِ العَلَويّ، وسأقومُ بتَطبيق هذه القاعدةِ على ما بيدي من الأحاديث والرواياتِ.

نبدأ من الجهة الأولى: صورةٌ مُوجزةٌ من سيرتهم العمليّة في مواجهة هذه الموضوعات.

في (الكافي الشريف)، صفحة (٢٨٢)، "بابٌ نادرٌ فيه ذكرُ الغَيْب"، الحديثُ الأوَّل: **بِسنده، عَن مُعمَّرِ بنِ خَلَّاد، قَالَ: سَأَلَ أَبَا الحَسَن** - الحديثُ عن إمامنا الكاظمِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **سَأَلَ أَبَا الحَسَن رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِس** - مَن الَّذي يُحدِّثنا؟ مُعمّر بنُ خلَّاد يقول - **فَقَالَ لَهُ: أَتَعْلَمُونَ الغَيْب؟** - يعني مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد، قطعاً هذا المصطلح مصطلح (الغَيْب) النَّاس تختلفُ في فهمه، أكثرُ النَّاس يستعملون هذا المصطلح في معلومات عن حوادث مُستقبل الأيَّام، بينما الغَيْب معنى واسعٌ جِدَّاً يرتبطُ بالماضي وبالحاضرِ وبالمستقبل، بل هو يتجاوزُ الأزمنة، حينما يكون الحديثُ عن الغَيب فإنَّ الغَيْبَ يتجاوزُ عالمَ الشَّهادة، وعالمُ الشَّهادة سيكونُ نُقطةً صغيرةً في حاشيةٍ من حواشي عالمِ الغَيْب.

-**فَقَالَ** - فَقَالَ إمامنا الكاظمُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيه السَّلَام** - إمامنا الكاظمُ يُحدِّثُ هذا الرجل الفارسي بحديث عن إمامنا الباقر صلواتُ الله وسلامهُ عليهما - **يُبْسَطُ لنا العلْم فَنَعْلَم وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَم، وَقَالَ: سرَّ الله عزَّ وَجَلَّ أَسَرَّهُ إِلَى جَبْرَائِيل وَأَسَرَّهُ جَبْرَائِيلُ إِلَى مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ الله** - فجبرائيلُ هُوَ الَّذي يُعلِّمُ مُحمّداً، جبرائيل عَبْدٌ من عبيدِ مُحمّد، على أيِّ حالٍ نحنُ والأحاديث،

هذه صورةٌ من صورِ سيرتهم العمليّة، فعلمهم علمٌ ناقصٌ، وبالتالي فإنَّ منزلتهم منزلةٌ ناقصة، فمدارُ المنزلةِ مدارُ العِلم، ومدارُ العِصمةِ مدارُ العِلم، إذا ما نقصَ العلم نقصت العِصمَة.

في البابِ نفسهِ، الحديثُ الرّابع: **بِسنده، عَن عمَّارٍ السَّابَاطي، قَالَ، سَألتُ أَبَا عَبْدِ الله** - إمامنا الصَّادقَ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه - **عَن الإِمَامِ يَعْلَمُ الغَيْب؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكن إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيء أَعْلَمَهُ اللهُ ذَلك.**

لاحِظوا الجواب الَّذي أُعطِيَ للرجل الفارسي من أنَّ الأمر ليس بأيديهم: (**يُبْسَطُ لَنَا العِلْم فَنَعْلَم وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَم**)، فإنَّ أمر علمهم ليس بأيديهم (يُبسَطُ) فعلٌ مبني للمجهول.

بينما في الإجابةِ هنا لَمَّا سألَ عمَّارٌ السَّابَاطي الإمام الصَّادق عن الإمامِ يعلمُ الغَيْب: (**قَالَ: لَا، وَلَكن إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيء أَعْلَمَهُ اللهُ ذَلك**)، فعلمهم بحسبِ ما يريدون، إنَّها أجوبةٌ بحسبِ المتلقّي، هذه أمثلةٌ.

روايةٌ وهي الثَّالثة في الباب، روايةٌ مُفصّلةٌ مُهمةٌ جداً: **بِسنده، عَن سَدِيرٍ** - عن سَديرٍ الصيرفي - **قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَبُو بَصِيرٍ وَيَحيَى البَزَّاز وَدَاوُودُ بنُ كَثِيرٍ** - وهؤلاء من خواصِّ الصَّادقِ صلواتُ اللهِ عليه - **فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ الله** - يعني في المكان الَّذي يُعقَدُ فيه مجلسهُ - **إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُغْضب** - لم يكن جالساً في ذلك المجلس، هذا التعبيرُ هذه الصيغة (مَجلِس) مجلس يُقصَدُ منهُ مكانُ الجلُوس، ويُقصَدُ منهُ زمانُ الجلُوس، ويُقصدُ منهُ حَدَثُ الجُلُوس، فهذه الصيغة صيغة (مَفْعَل) أو (مَفْعل) في علم الصَّرف تعطي معنى المكان، تُعطي معنى الزَّمان، وتُعطي معنى الحَدَث - **وَهُوَ مُغْضَب** - هُناك من أغضبهُ أغضبَ الإمامَ الصَّادقَ صلواتُ الله عليه - **فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ** - هنا الكلامُ عن الحَدَث، فَإنَّهُ جَلَسَ في مجلسه - **قَالَ: يَا عَجَباً لأَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الغَيْب، مَا يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلَانَة** - لأنَّها رُبّما أساءت - **فَهَرَبَتْ مِنِّي فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوت الدَّارِ هِي** - بيوت يعني غرف، هُناك من مراجع النَّجف وكربلاء وهُناك من خُطباء النَّجف وكربلاء يقتطعون هذا المقدار من الرواية، ولا يُكمِلُون الرواية، ويستدلُّون بها على أنَّ المعصوم على أنَّ الإمامَ لا يعلمُ الغَيب، يقتطعون هذا المقدار من روايةٍ طويلة سأقرؤها عليكم:

- **قَالَ سَدِير: فَلَمَّا أَنْ قَامَ من مَجْلِسه وَصَارَ فِي مَنْزِله** - فهذا المجلسُ خارج بيته السَّكني، كما يُعبّر عنه (البرّاني) - **دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَصِيرٍ وَمَيْسِر وَقُلْنَا لَهُ: جُعِلْنَا فِدَاك سَمِعْنَاكَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِك، وَنَحنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْماً كَثِيراً وَلَا نَنْسِبُكَ إِلَى عِلْمِ الغَيْب، قَالَ، فَقَالَ: يَا سَدِير أَلَمْ تَقْرَأ القُرآن؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأتَ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ: "قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُك"، قَالَ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأتُهُ، قَالَ: فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُل؟ وَهَلْ عَلِمَت مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الكِتَاب؟ قَالَ، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِه، قَالَ: قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ المَاءِ فِي البَحْرِ الأَخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الكِتَاب** - مِن عِلمِ الكِتَابِ كُلِّه، المَرادُ مِن البَحرِ الأَخضر هو المحيطُ الواسع، هي المساحةُ المائيّةُ في كُلِّ الكُرةِ الأرضيّة، هُو هذا البحر الأخضر.

الحديثُ عن آصف بن برخيا، كان يعلمُ حرفاً واحداً، هذا الحرفُ الواحد هو قَدْرُ قَطرة من الماء في البحر الأخضر بالقياس إلى علمِ الكتاب كُلِّه - **قَالَ، قُلْتُ: جُعلتُ فِدَاكَ، مَا أَقَلَّ هَذَا** - ما أقلَّ ما يعلمه آصف - **فَقَالَ: يَا سَدِير، مَا أَكْثَرَ هَذَا** - ما أكثرَ هذا بالقياسِ إلى علمكم، ولكن بالقياسِ إلى علمنا ما أقلَّ هذا - **مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى العِلْمِ الَّذِي أَخْبَرْتُكَ بِه، يَا سَدِير فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأتَ من كتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ أَيْضاً؟ "قُلْ كَفَى بِالله شَهِيْداً بَيْنِي وَبَيْنَكُم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَاب"، قَالَ، قُلْتُ: قَدْ قَرَأتُهُ جُعِلْتُ فِدَاك، قَالَ: أَفَمَن عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ كُلِّهِ، أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ بَعْضُهُ؟ قُلتُ: لَا بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ كُلِّهِ، قَالَ: فَأَوْمَأ بِيَدِه إِلَى صَدْرِه وَقَالَ: عِلْمُ الكِتَابِ وَاللهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا، عِلْمُ الكِتَابِ وَاللهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا** - يُكرر الكلام مرتين.

هذه الرواية تُلغي ما مرّ علينا من الروايات؛

- مِمَّا جاء في جوابِ إمامنا الكاظمِ لذلك الرجل الفارسي.
- وما جاء في جوابِ إمامنا الصّادقِ لعمّارٍ السّاباطي.
- وما مرَّ علينا في الروايات الَّتي قالت: (وَإِنَّ اسمَ الله الأَعْظَمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً أُعْطِي مُحَمَّدٌ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً وَحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ وَاحد).

الروايةُ هُنا إمامنا الصَّادقُ يُحدِّثنا فيها من أنَّ عِلْمَ الكِتابِ كُلَّهُ في صدرِه، هذا يعني أنَّ الحروف الثلاثة والسبعين بتمامها وكمالها في صدرِه الشريف، فكُلُّ هذه الروايات قد تلاشت.

هذه صورةٌ مُصغَّرةٌ من سيرتهم العمليّة في بيانِ الأجوبة.

لا زِلتُ أقرأُ عليكم من الكافي الشريف؛ "بابُ ما أُعطيَ الأئمَّةُ من اسمِ الله الأعظمِ"، الحديثُ الثَّاني: **عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، إِنَّ عِيسَى بنَ مَرِيَم أُعْطِيَ حَرْفَين** - مِنْ حُروفِ الاسْمِ الأَعْظَم - **كَانَ يَعْمَلُ بِهِمَا، وَأُعْطِيَ مُوْسَى أَرْبَعَةَ أَحْرُف، وَأُعْطِيَ إِبْرَاهِيمُ ثَمَانِيَةَ أَحْرُف، وَأُعْطِيَ نُوْحٌ خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفاً، وَأُعْطِيَ آدَمُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حَرْفاً** - لهذا سجدت الملائكةُ لأبينا آدم، "وعَلَّم آدَمَ الأَسْمَاء"، ما جاء من تفصيلٍ في قصَّة أبينا آدم - **وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِمُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآله** - الَّذي هُوَ عندَ الأنبياء الَّذينَ تقدَّمَ ذكرهم - **وَإِنَّ اسْمَ الله الأَعْظَمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآله اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً وَحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ وَاحِد** - إذاً الاسمُ الأعظَمُ ليس كاملاً في قلبِ مُحَمَّدٍ وعقلهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ.

الحديثُ الثَّالث من نفس الباب، صفحة (٢٥٧): **بِسنده، عَن عَلِيِّ بنِ مُحَمَّد النَّوفَلِي، عَن أَبِي الحَسَنِ صَاحِبِ العَسْكَر** - إمامنا الهادي صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُول: اسْمُ الله الأَعْظَمُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً كَانَ عِنْدَ آصف** - إنَّهُ آصفُ بنُ برخيا الَّذي كان وصيّاً لسليمانَ النَّبي - **كَانَ عِنْدَ آصفَ حَرْفٌ** - حرفٌ واحدٌ - **فَتَكَلَّمَ بِهِ فَانْخَرَقَت لَهُ الأَرْضُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَبَأَ فَتَنَاوَلَ عَرْشَ بِلْقِيس حَتَّى صَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَان ثُمَّ انْبَسَطَت الأَرْضُ فِي أَقَلِّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْن، وَعِنْدَنَا مِنهُ** - الإمامُ الهادي يقول - **وَعِنْدَنَا مِنْهُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفاً وَحَرْفٌ عِنْدَ الله مُسْتَأثِرٌ بِه فِي عِلْمِ الغَيْب** - الأئمَّةُ يتكلَّمونَ بهذا اللِّسان لدفعِ شُرورِ الخطَّابيةِ الأنجاس اللعناء، الَّذينَ شَوَّهوا العقائد بسببِ ضلالهم وقلَّة عُقُولهم وانعدامِ فهمهم.

هذه الأحاديثُ إذا أردنا أن نعرضها على الكتابِ الكريم فهذه الأحاديثُ ستتساقطُ، هي وَارِدَةٌ عنهم، أنا أقرأ عليكم من (الكافي الشريف)، أحاديثُ الكافي وردت عنهم، الكُليني رحمةُ اللهِ عليه جمعَ عُيونَ مَصادرِ الحديثِ زمانَ الغَيبةِ القصيرة، جمعَ عُيونَ مصادر الحديث وبقي يُواصِلُ ليلهُ بنهارهِ

لعشرين سنة حتَّى جَمعَ هذا الكتاب، هذه أحاديثهم، تعرّضت للتحريف للتصحيف نعم، تعرّض الكتابُ للتحريف للحذف للإسقاط نعم، لكنَّ الأحاديث الموجودة هي أحاديثهم.

السؤالُ: هل أنَّهم يريدون منَّا أن نتمسّكَ بها أنْ نعملَ بها؟

الجوابُ: كَلَّا وكَلَّا وكَلَّا وكَلَّا ، كثيرٌ من هذه الأحاديث الأئمَّةُ لا يُريدونَ منَّا أن نتمسَّكَ بها أو أن نعملَ بها، أمرونا إذا ما شكّكنا في حديث أن نختبرهُ، أن نعرضهُ على القُرآن ، فهذه الأحاديثُ الَّتي تقول: "من أنَّ مُحمّداً وآلَ مُحمَّد عندهُم من حُروف الاسم الأعظم اثنانِ وسَبعونَ حرفاً والحَرفُ الثَّالثُ والسّبعون ما هو عندهم"، هذه الرواياتُ تتعارضُ بشكلٍ كاملٍ مع منطق القُرآن.

القُرآن في الآية الثالثة والأربعين بعد البسملة من سُورة الرعد وهي آخرُ آية في سورة الرعد يحكُمُ بعدم صحَّة مضمون هذه الأحاديث: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾، عليٌ هذا الَّذي عندهُ عِلْمُ الكتاب بكُلِّ حُروفه، فهذه الرواياتُ الأئمَّةُ لا يريدون منّا أن نتمسَّكَ بها.

بقيَت عندنا الجهة الثالثة: الَّتي ترتبطُ "بقاعدة المُحْكَمِ والْمُتَشَابِه".

أقرأ عليكم نصّ القاعدة من الجزء الأوَّل من عيون أخبار الرضا صلواتُ الله عليه/ لشيخنا الصَّدوق المتوفّى سنة ٣٨١ للهجرة/ طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ صفحة ٢٦١/ الحديثُ التاسعُ والثلاثون: **بِسنده، عَن أَبِي حَيُّونٍ مَوْلَى الرِّضَا عَلَيهِ السَّلام** - خادمٌ من خَدَمِ إمامنا الرضا - **قَالَ** - من الَّذي قال؟ إمامُنا الرضا - **مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِه هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** - كلامٌ واضح صريح منطقي يتطابقُ مع آي الكتاب الكريم - **ثُمَّ قَالَ** - القاعدةُ الَّتي أشرتُ إليها هي هذه: **إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَمُحْكَماً كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ، فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُوْنَ مُحْكَمِهَا فَتَضلُّوا.**

القاعدةُ واضحةٌ، منطَقهم ومنطقُ القُرآن واحد.

هذه الأحاديثُ والأدعيةُ والزياراتُ الَّتي تنتقصُ منهم وتُشيرُ إلى نقصٍ يعتريهم وتُشيرُ إلى أنَّي أكونُ سبباً في تكميلهم بدعائي وصلاتي هذه نُصوصٌ تقعُ في هذا الوصف، هذه نُصوصٌ مُتشابهة.

النصوصُ المتشابهةُ:

- إمّا أن نعودَ بها إلى النصوص المُحْكَمَة.
- وإمّا أن نضعها جانباً لا شأن لنا بها.

هذا هو الحلُّ مع النصوص المتشابهة، من الزيارات، من المناجيات، من الأدعية، من الأذكار، من التفسير، من أيِّ شيء.

على سبيل المثال: (الزيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ) نَصٌّ مُحْكَمٌ في غاية الإحكام، فالنَّخعي، حينما سأل إمامنا الهاديّ صلواتُ الله وسلامهُ عليه ماذا طلب منهُ؟: (**عَلِّمْني يَا ابْنَ رَسُولِ الله قَوْلاً أَقُوْلُهُ بَلِيْغَاً كَامِلاً إِذَا زُرْتُ وَاحِداً مِنْكُم**)، فأجابهُ الإمام، وجواب الحكيم يكون قطعاً على قدرِ السؤال.

سآخذ لكم أمثلةً:

الزيارةُ الجامعة الكبيرةُ من أوَّلها إلى آخرها هي قولٌ مُحْكَمٌ مَتينٌ قطعيّ، إنَّها فصلُ خِطابٍ في كُلِّ حرفٍ من حُروفها، في كُلِّ جُملةٍ من جُمَلِها، في كُلِّ عبارة من عبائرها.

فنحنُ حينما نُسلِّمُ عليهم منذُ بداية الزيارة: (**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُبُوَّة**)، هذا التعبير فيه نقص؟ ماذا تقولون أنتم؟ يعني مثلاً هل المراد يا أهل بَيتِ النُبُوّة إلَّا رُبع، إلَّا عشرة بالمئة، أم أنَّ المرادَ من العبارة المعنى الكاملُ الحقيقيّ لهذه الكلمات؟! قطعاً هُوَ هذا المراد، هذا هُوَ القولُ البليغُ الكاملُ، ونحنُ في مقام الزيارة، في مقامِ التوقيرِ والتقديس والاحترام، والزيارةُ تجديدُ عهدٍ وتأكيدُ عقدٍ وإلزامٌ ببيعةٍ لـمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ اللهِ عليهم، وتذكيرٍ بكُلِّ فضلهم..

فحينما نُسلِّمُ عليهم: (**وَخُزَّانَ العِلْم**)، السياقُ هُوَ السياق، وَخُزَّانَ العلْم بدرجة مئة بالمئة، فليس هناك من علْمٍ ناقص، هُمْ خُزَّانُ العلْمِ عندَ مَن؟ عندَ معاوية بن أبي سفيان مثلاً؟ عندَ أباطرة الرومان مثلاً؟ عندَ مَن؟ هُمْ خُزَّانُ العلْمِ عندَ الله، فحينما نُخاطبهُم مِن أنَّهم خُزَّانُ علْمِ الله يعني أنَّ كُلَّ العلْمِ عندهم، وليس هذا فقطَ، ومن أنَّ أمر العلْمِ إليهمَ لأنَّهم خُزَّانهُ هُم المتصرّفونَ فيه.

"**وَأَوْلِيَاءَ النِّعَم** "؛ كُلَّ النِّعَمِ كيف يكونون أولياءَ لكُلِّ النِّعَمِ وولايتهم ناقصة؟ إنَّما تكون ولايتهم ناقصةً لأنَّ علْمَهُم ناقصٌ، فمدارُ الولاية مدارُ العِلْم، نحنُ لا نتحدَّثُ عن مُعلِّمٍ يُعلِّم في مدرسة فيمكنَ أن يكونَ علْمُهُ ناقصاً، نحن نتحدَّثُ عن حُكَّامٍ ولايَتهُم مبسوطةٌ على الكون كُلِّه.

الزيارةُ نفسها تقول: "**وَذَلَّ كُلِّ شَيء لَكُم**".

والزيارةُ نفسها تقول: "**خَلَقَكُمْ اللهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِين**"؛ هم أوسعُ من عرشهِ يُحيطون بعرشه، أحدَقَ بالشيء؛ أحاطَ به،

ماذا نقرأ في سورة لقمان؟!

في الآية العشرين بعد البسملة من سورة لقمان: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾، هذا المضمونُ إذا كان لهُ من انطباقٍ حقيقيٍّ فَهُوَ في أفنيتهم، وإذا كان من جانبٍ في الحاشية من الخطاب فهو لنا، هذا هُوَ حديثُ الكساء اليماني؛ (إنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّة وَلَا أَرْضَاً مَدْحِيَّة)، حديثُ الكساء اليماني الَّذي تعرفونهُ، مضمونُ حديث الكساء اليماني هو هذا، الَّذين يُشكِّكونَ في حديث الكساء اليماني غبران ثولان..

وحتَّى هذه التعابيرُ صاغتها لنا الزَّهْرَاء بنحو المقاربة، فالزَّهْرَاءُ تُحدِّثُ جابراً الأنصاري وتُحدِّثنا بحسبِ قواعد المداراة، ومع ذلك فمراجع النَّجف يُنكرون هذا الحديث بسببِ قواعد علمِ القنادر..

ثُمَّ ماذا نُخاطبهُم؟ نستمرّ في قراءةِ الزيارة نُسلِّمُ عليهم: (**الْسَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى** - إلى أن نقول - **وَالْمَثَلِ الأَعْلَى**)، مَثَلٌ أعلى لمَن؟ مَثَلٌ أعلى لله، فهل الْمَثَل الأعلى لله يعتريه النَّقص؟ لا تظلّونَ ثولان، هذه الروايات وهذه الأدعية وهذه الزيارات هي في حقل المتشابه، إمَّا أن تُوضَعُ جانباً وإمَّا أن نعود بها إلى النصوص المُحْكَمَة، فَمُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ الْمَثَلُ الأعلى، الْمَثَلُ الأعلى لِمن؟

هذا هو قُرآنُهم صلواتُ الله عليهم:

في سورة النحل، الآية الستين بعد البسملة من السورة: ﴿**لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ** - هذا هُوَ الْمَثَلُ النَّاقص، الَمثَلُ الْمَعيب - **وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** - الْمَثَلُ الأعلى لله، وتأتي الأسماءَ - **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، فالعِزَّةُ هي عنوانٌ للولايةِ المطلقة، (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، في مُقابلِ هذهِ المذلَّةَ عِزَّتُهم (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، ماذا يعني ذلك؟ وأنتُم الأعزَّةُ فوقَ كُلِّ شيء.

والمعنى هو هَو إذا ما ذهبنا إلى سورة الروم، في الآية السابعة والعشرين بعد البسملة: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** - الخالقيّةُ، والخالقيّةُ هيَ من تجليّات العالميّة، والعَالميةُ تتجلَّى في القادريَّة، هُناكَ عِلْمٌ، هُناكَ قُدْرَةٌ، هُنَاكَ خَلْقٌ - **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** - الأسماءُ هيَ هيَ - **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ**﴾، هَذا هُوَ الْمَثَلُ الأعلى.

ونحنُ هَكذا نُسلِّمُ عليهم في الزيارةِ الجامعة الكبيرة: (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى** - إلى أنْ نقول: **وَالْمَثَلِ الأَعْلَى**)، فكيف أتصوّرُ أنَّهم الْمَثَلُ الأعلى وهم يحتاجون إلى تكميلِ منّي ومنكم، أيَّةُ كوميديا هذهِ؟ أيَّة مهزلةٍ هذهِ؟